الجندرية في العالم العربي، أصولها ومبرراتها

إعداد

د. ابتسام بنت ناجح عبد الله آل محفوظ

الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الملك خالد

ملخص البحث

بدأت قضايا الجندر تحتل مكاناً بارزًا منذ وقت مبكر في المجتمعات العربية بالتزامن مع ظهور أفكار ونظريات جديدة حول الحرية، وحقوق الإنسان في بلاد الغرب، وقد انتقلت هذه الأفكار إلى البلاد العربية ضمن الكثير من الأفكار الوافدة، سواء جاءت بصورة طوعية عبر ناقلين معجبين بالحضارة الغربية الحديثة، أو فُرضت قسرًا على البلاد العربية والإسلامية في زمن الاستعمار، ضمن الغزو الحضاري لبلاد المسلمين، ولاقت ما يؤيدها لوجود مبررات وظروف مشابهة لما كانت عليه المرأة الغربية في عصور ما قبل النهضة بسبب بعد الكثير من المجتمعات الإسلامية عن دينهم الذي رفع قدر المرأة وجعلها ملكة متوجة على الرؤوس.

ويتضمن هذا البحث النظر إلى نشأة الجندر والحركات النسوية، وكيف انتقلت أفكارها إلى البلاد العربية والإسلامية ومبررات ظهور هذه الافكار في مجتمعاتنا.



Abstract

Undoubtedly issues of Gender began to occupy a prominent and clear place at an early stage in Arab societies, coinciding with the emergence of new ideas and theories about freedom and human rights in Western countries. These ideas were transmitted to Arab countries among many incoming ideas, whether these ideas came voluntarily through carriers who admire modern Western civilization or they are forcibly imposed on the Arab and Islamic countries during the colonial era within the civilizational invasion of Muslim countries, and it was supported by the existence of justifications and circumstances similar to what Western women were in before the Renaissance (The period of time that came before the Renaissance in Europe)due to the negligence of many Islamic societies for their religion, which raised the status and destiny of women and made them queen crowned on heads.

This research includes a study of the emergence of gender and feminist movements and how their ideas were transmitted to Arab and Islamic countries and the justifications for the emergence of these ideas in our societies.



تمهيد

في بداية النهضة الأوربية ظهرت مطالبات تهدف لتحرير المرأة، وحصولها على حقوقها الطبيعية التي كانت مسلوبة منها خلال قرون طويلة، والحقيقة فإن مبررات الغرب في هذا الإطار كانت تحاول في البداية تحرير المرأة من معرة الخطيئة، والنظرة الدونية التي ظلت تلاحقها بناء على النصوص الدينية المشوهة، التي تعتبر المرأة أصل الشرور، والتي تبنتها الكنيسة الغربية، وظلت مهيمنة على المجتمعات الغربية حتى عصر النهضة الذي بدأت معه حركات فكرية وثورية تهدف لحرية الإنسان بصفة عامة، والمرأة بصفة خاصة.

ومنذ نهاية القرن الـ١٧م بدأت تلوح في الأفق نظريات ومطالب تدعو لتحرير المرأة، تزامنت مع ظهور حركة التنوير، وتصدر لهذه النظريات شخصيات بارزة لها تأثيرها القوي. حملت رؤيتهم عددًا من النظريات التي تتحدث عن تحرير المرأة بعضها من منظور اجتماعي، وبعضها من منظور بيولوجي تشكلت خلالها ثلاث موجات نسوية، تجاوزت فيما بعد فكرة حقوق المرأة إلى دعوات أكثر تطرفًا وغلوًا وإباحية.

وبالتالي فقد نبتت النسوية، في الأساس من جذور غربية فرضتها ظروف خاصة بمجتمعات الغرب، وثقافته، ونظرته إلى قيم الحرية، وحقوق الإنسان، ومن بينها حقوق المرأة، وقد انتقلت هذه القيم إلى واقعنا العربي -سواء اتفقنا معها أم لم نتفق- وصارت واقعًا في حياتنا المعاصرة؛ بل ظهرت هناك فئات تتبنى هذه النظريات وكأنها أصيلة لديها نابعة من قناعة عربية.

مشكلة البحث:

تدور المشكلة الرئيسية للبحث حول مفهوم الجندر، وكيف انتقل إلى عالمنا العربي، وهل هو من إفرازات الفكر العربي المعاصر، أم من جملة التطورات والتحولات التي مر بها المجتمع العربي؟ وقد تفرع عن هذه المشكلة ما يلي:

١. ماهية الجندر والنوع الاجتماعي، ومنطلقاته الفلسفية.
٢. الأصول الفلسفية للجندرية عند العرب.

٣. مبررات وجود الجندر عند العرب.

٤. مستقبل الجندرية العربية.

أهمية البحث:

١. الحاجة إلى توضيح مفهوم النسوية من منظور عقدي إسلامي، وبيان ما فيه من دخيل وأصيل.

٢. إزالة وتوضيح اللبس حول مفهوم الجندرية، وتتبع نشأته، وأهدافه في مجتمعنا العربي.

٣. إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة تتناول مفهوم الجندرية من منظور عقدي.

أهداف البحث:

١. التعريف بمفهوم الجندر منذ نشأته وتتبع مراحله.

٢. الوقوف على أهم آثاره في مجتمعنا العربي.

٣. نقد مفهوم الجندرية من منظور عقدي في ضوء الكتاب والسنة وفقا لمنهج السلف.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث اتباع منهج متكامل من خلال الدمج بين:

المنهج التحليلي الوصفي: لعرض المصطلحات ذات الصلة بمفهوم الجندر، والكشف عن أسسه الفلسفية.

المنهج النقدي: في نقد مفهوم النسوية وبيان ما فيه من إيجابيات، وما فيه من مخالفات شرعية.

الدراسات السابقة:

لم أعثر فيما اطلعت عليه من مراجع في المكتبات العامة، والمواقع الإلكترونية على بحث يتناول الجندرية من مفهوم عقدي على الصورة التي أقدمها هنا، وإن كانت هناك بعض المراجع والدراسات تحمل شيئا من مضمون البحث من بينها:

١. مفهوم النسوية، دراسة نقدية في ضوء الإسلام، للباحثة أمل بنت ناصر الخريّف، وهو عبارة عن دراسة صادرة عن مركز باحثات لدراسات المرأة بالرياض، وصدرت طبعتها

الأولى سنة ٢٠١٦، وتقع في ٢٢٠ صفحة. وجاءت في خمسة مباحث هي: دلالات مفهوم النسوية، نشأة مفهوم النسوية وتطوره، المصطلحات ذات الصلة، آثار مفهوم النسوية، نقد مفهوم النسوية.

٢. مفهوم الجندر وآثاره على المجتمعات الإسلامية، دراسة نقدية تحليلية في ضوء الثقافة الإسلامية، للباحثة أمل بنت عائض الرحيلي، وهو أيضا عبارة عن دراسة من إصدارات مركز باحثات لدراسات المرأة بالرياض، وصدرت طبعتها الأولى سنة ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، وتقع في ٣٣٥ صفحة، وجاءت في فصل تمهيدي، وثلاثة فصول:

الأول: مفهوم الجندر: المفاهيم، والمصطلحات، والنشأة.

الثاني: وسائل انتقاله، وآثاره على المجتمعات الإسلامية.

الثالث: موقف الثقافة الإسلامية، وسبل مواجهته.

حدود الدراسة:

تقتصر حدود الدراسة على بيان مفهوم الجندر؛ نشأته وتطوره وانتقاله للعالم الإسلامي، والموقف العقدي منه.

تبويب البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة تتضمن: عرض مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه وحدوده وهيكلته.

تمهيد: يتضمن عرضًا موجزًا لنشأة الجندر، والفلسفة النسوية العربية.

المبحث الأول: مفهوم الجندر، ونشأته.

المبحث الثاني: الأصول الفلسفية للجندرية عند العرب ومبرراتها.

المبحث الثالث: الجندر في ميزان العقيدة والشريعة الإسلامية.



المبحث الأول

تعريف الجندر ونشأته

الجندر لفظة أجنبية منقوله في مدلولها من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية ولا علاقة لها بهذا الجذر اللغوي ولا أصل لها في العربية بل تفيد معاني أخرى لا صلة لها بالمعنى المقصود في اللغات الأجنبية وبالتالي فالكلمة لا أصل لها في العربية.

تعريف الجندر:

الجندر في الإنجليزية:

الجندر (Gender) كلمة إنجليزية تنحدر من أصل لاتيني وتعني في الإطار اللغوي القاموسي (الجنس) من حيث الذكورة والأنوثة. وهي كمصطلح لغوي يستخدم لتصنيف الأسماء، والضمائر، والصفات، أو يستخدم كفعل مبني على خصائص متعلقة بالجنس في بعض اللغات وفي قوالب لغوية بحتة. وقدم هذا المفهوم بواسطة العلوم الاجتماعية عموماً، والسوسيولوجيا(١) بالتحديد، من خلال دراسة الواقع الاجتماعي والسياسي، كمحاولة لتحليل الأدوار، والمسؤوليات، والمعوقات لكل من الرجل والمرأة.

"وقد مرت هذه الكلمة في لغتها الأم بعدة مراحل على النحو التالي:

- استخدمت كلمة Gender منذ القرن الرابع عشر الميلادي بمعنى الجنس؛ للإشارة إلى حالة كونه ذكرا أو أنثى.
- وفي عام ١٩٠٠م اعتبر هذا الاستعمال هزليا، لا يعمل به إلا نادرا.
- وفي عام ١٩٢٦م أُقترح أن تقتصر الكلمة على المعنى النحوي، وذلك للإشارة إلى إسناد الأسماء إلى فئات المذكر والمؤنث.

---

(١) السوسيولوجيا: كلمة نظيرة لعلم الاجتماع وقد قام بإطلاقها واستخدامها العالم "اوجست كوم"، حيث كان يستخدمها كبديل لكلمة علم الاجتماع.

- وفي منتصف القرن العشرين اُستخدمت للإشارة إلى الحالة الاجتماعية القائمة على التنشئة، والتلقين بأن هذا ذكر وتلك أنثى، بينما الجنس يشير إلى الاختلافات البيولوجية"(١).
- "وفي النصف الأخير من القرن العشرين اُستخدمت بديلا عن الجنس، وعن التوجه الجنسي، وهوية النوع إلا في بعض المواضع مثل: الاتصال الجنسي، والجنس المأمون، وجنس العامل، وجنس الرقيق"(٢).

ومما سبق بيانه يمكن إيجاز القول في الآتي:

- أن الاشتراك القائم بين اللغتين في كلمة الجندر إنما هو اشتراك في اللفظ فقط.
- الجندر لفظة أجنبية منقوله في مدلواها من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية، ولا علاقة لها بهذا الجذر اللغوي ولا أصل لها في العربية.
- أنها استعملت في اللغة الأم -الإنجليزية- بعدة معاني، منها الجنس من حيث التذكير والتأنيث، والتوجه الجنسي.

الجندر اصطلاحًا:

يعرفها معجم ويبستر على أنها: "النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، وتسعى كحركة سياسية إلى تحقيق: حقوق المرأة واهتماماتها، وإلى إزالة التمييز الجنسي الذي تعاني منه المرأة، وتعرف الكندية لويز توبان(٣)، النسوية: بأنه انتزاع وعي فردي في البداية، ومن ثم وعي جمعي تتبعه ثورة ضد موازين القوى الجنسية، والتهميش الكامل للنساء في لحظات تاريخية معينة"(٤).

---

(١) مفهوم الجندر وآثاره على المجتمعات الإسلامية، دراسة نقدية في ضوء الثقافة الإسلامية، أمل بنت عائض الرحيلي، ص٧٢-٧٣.

(٢) مفهوم الجندر وآثاره على المجتمعات الإسلامية، دراسة نقدية في ضوء الثقافة الإسلامية، أمل بنت عائض الرحيلي، ص٧٢-٧٣ .

(٣) كاتبة كندية، إحدى أبرز الناشطات النسويات في منتصف القرن الماضي.

(٤) المرجع السابق.

(أ) نشأة مصطلح الجندر:

في عام ١٩٧٢م أدخلت (آن أوكلي)(١) مصطلح (الجندر Gender) إلى علم الاجتماع عبر كتاب: "الجنس والنوع والمجتمع". ثم في أواخر الثمانينيات انتشر المصطلح في أمريكا، وانتقل إلى أوروبا، وكان أول ظهور دولي له عبر مؤتمر "السكان والتنمية" الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٩٤م. وفي بكين ١٩٩٥م تم التأكيد على مفاهيمه ضمن المؤتمر الرابع حول المرأة.

ويعني مصطلح الجندر الذكورة والأنوثة من حيث النوع، والدور الاجتماعي، وليس البيولوجي أو العضوي.

وقد أوضحت الدراسات أن النسوية نوعان من حيث الاختلاف بين الذكورة والأنوثة وهي: الاختلاف البيولوجي والاختلاف النفسي؛ وهو يقوم على التمايز بين الجنسين ويعتبر الجسد فيه أساسًا للمفاضلة بين الرجل والمرأة.

وأما التمايز الذي تحدده المحددات الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، فيقوم على اعتبار الجنس gender أساسًا للاختلاف بين الجنسين.

فأكدت المدرسة النسوية أن النوع الاجتماعي يفترض به القيام بدورين رئيسيين:

أ- الأدوار المرتبطة بالمجال الخاص (الدور الإنجابي-الخدمي-المجتمعي): هذه الأدوار مرتبطة بالمجال الخاص، أو المجال الذى لا يتم ممارسة السياسة بها، وهو مرتبط باستمرار التناسل، وتوطيد العلاقات الاجتماعية، وقد أكدت المدرسة النسوية بمختلف موجاتها أن القمع الذى تعاني منه المرأة مرتبط بالأساس بحصر دورها على هذا المجال، بالإضافة لتحميلها جميع الأعباء المرتبطة به، والتقليل من أهميته.

ب- الأدوار المرتبطة بالمجال العام (التمثيل السياسي- الدور الإنتاجي): وهي الأدوار التي ترتكز فيها عملية صنع القرار، والسيطرة على مصادر القوة داخل المجتمع، والتأثير على العلاقات والأنماط الاجتماعية التي تربط الأفراد داخل المجتمع، وترى المدرسة النسوية

(١) كاتِبة، أستاذة جامعية وروائية بريطانية.

أن استبعاد المرأة من هذا المجال أدى لغياب الأصوات النسائية التي تمتلك القدرة في نقل احتياجات المرأة في المجتمع، وهو ما انعكس بالسلب على وضع المرأة في المجال الخاص، حيث إن المجال العام أصبح يصدر قراراتٍ، وعدداً من الأفعال التي لا تراعي النوع الآخر المكون للمجتمع، بل أن الأمر لم يقتصر على عدم مراعاة الخصوصية التي تتمتع بها المرأة، بل تطور وتحول المجال العام إلى أداة لقمع المرأة وإخضاعها لسلطة الرجل في ظل الأنظمة الأبوية[1]"[2].



(١) هو: تجلٍ ومؤسسة للهيمنة الذكورية على النساء والأطفال في الأسرة، وتوسيع الهيمنة الذكورية على النساء في المجتمع بعامة. وهذا التعريف وفقا لبيرنر ان الرجال يتولون السلطة في جميع مؤسسات المجتمع المهمة، وأن النساء محرومات من سلطة كهذه، انظر: نشأة النظام الأبوي، غيردا ليرنر، ترجمة: أسامة إسبر، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٣م، ص٤٥٠.

(٢) قراءة في المدرسة النسوية وتياراتها، سلمى عبد الستار أبو حسين، المركز العربي للدراسات والبحوث، القاهرة، ١٤ مارس ٢٠٢٠م.

المبحث الثاني

الأصول الفلسفية للجندرية عند العرب ومبرراتها

(أ) الأصول الفلسفية للجندرية عند العرب.

(ب) مبررات الجندر عند العرب، وتنقسم إلى نوعين:

أولاً: مبررات ذاتية.

ثانيًا: مبررات خارجية.

المتابع للأصول الفلسفية للجندر عند العرب، يجد أنه مصطلح وافد في الأساس، وقد وجد مسوغات ومبررات لوجوده من خلال تشابه بعض الظروف الاجتماعية للمرأة العربية، وظروفها في الغرب، الأمر الذي دفع رواد الجندر العرب لنقل التجارب الغربية إلى بيئاتهم متناسين الفروق بين البيئة العربية والإسلامية وبين البيئة الغربية.

وقد كابدت المرأة الغربية، خلال القرون الوسطى ألوانًا متعددة من الاضطهاد، والإقصاء، والتهميش إذ كانت تعتبر مصدرًا للخطيئة، وأصلاً للشرور وهو ما كان يروجه آباء الكنيسة(١)، وفي كتابات الفلاسفة، والأدباء؛ سواء في العهود القديمة كأفلاطون، أو في عصر التنوير، كما لدى جان جاك روسو(٢)، وهذا المستوى الفكري في النظر للمرأة لدى النخب، يعكس ما كانت عليه في مجتمعهم وفي مجادلاتهم الثقافية.

ومن هنا فإن قراءة متأنية لأوضاع المرأة لدى هؤلاء قد تكشف مبررات الحركة النسائية في جميع مراحلها إلى اليوم، كما تكشف المبررات التي أدت إلى ظهور الحركة النسائية في الغرب، كرد فعل على ظلم المرأة واستلاب حقوقها، ومن ثم ظهور بنية فلسفية جديدة تتحدى هذه النظرة، وما اشتملت عليه من معايير معرفية، وأفكار تؤصل لرفض هذا الواقع.

(١) يمكن الرجوع في ذلك إلى ذكره إمام عبد الفتاح في كتابه: الفيلسوف المسيحي والمرأة.

(٢) جان جاك روسو ولد في جنيف، ٢٨ يونيو ١٧١٢م، وتُوفي في إيرمينونفيل، ٢ يوليو ١٧٧٨م، هو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات جنيفي، يعد من أهم كتاب عصر التنوير، وهي فترة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديين.

أما عن نشأة مفهوم الجندر، وانتقاله إلى البلاد العربية والإسلامية، فقد كانت له مبررات شبيهة في إطارها العام، لكنها مختلفة معها في التكوين والعوامل المؤدية إليها.

هناك نوعان من المبررات التي أدت لظهور الجندر عند العرب، بعضها ذاتي متوارث نتيجة البعد عن الإسلام، أو الجهل بتعاليمه، وكذا الفهم القاصر للإسلام، أو التفسيرات التجزيئية لنصوص الكتاب والسنة، وبعضها ناتج عن الاحتكاك بغير المسلمين في محيطهم، ونظرتهم للمرأة في بعض المجتمعات كمنع المرأة من الميراث وغير ذلك، والبعض الآخر، خارجي وافد يرتبط بمفاهيم الحداثة، والتنوير، والحرية الغربية والمساواة، وحقوق الإنسان من منظور غربي، ونحوها من الأفكار والمعتقدات الداخلية على العرب والمسلمين خلال القرون الثلاثة الأخيرة.

أولاً: المبررات الذاتية:

في الحقيقة لا يمكن التغاضي عن وجود بعض المبررات الذاتية التي مثلت جانبًا مهمًا لاستقبال الأفكار النسوية الواردة من الغرب، منها وجود بعض الممارسات التي تسلب المرأة حقوقها في بعض المجتمعات العربية والإسلامية، في شكل عادات وتقاليد منبوذة، وكذلك الفهم المشوه لنصوص الشرع.

١- العادات والتقاليد المؤدية لسلب حقوق المرأة:

هناك بعض المجتمعات لاتزال إلى اليوم متمسكة بالأعراف التي تسلب المرأة حقها منها على سبيل المثال، الميراث بدعوى أن : "أبناء الرجل أبناؤه، وجزء من أسرته، أما أبناء البنات فليسوا من أسرته؛ بل من أسرة أخرى، فعند حصول البنت على الإرث، ينتقل هذا المال فيما بعد إلى أبنائه، الذين هم ليسوا من أسرة والدها؛ بل من أسرة والد زوجها، فإرث البنت يفضي إلى انتقال الثروة، والمال إلى أسرة غريبة أخرى"(١).

"ومن ذلك كثير من الأعراف الجارية بين القبائل في المغرب العربي، كحرمان المرأة من الميراث، وعدم مطالبتها بالطلاق بأي وجه كان، وعدم ترشيدها مدى الحياة، وعدم دفع

(١) الميراث في الشريعة الإسلامية، ياسين إبراهيم درادكة، مؤسسة الرسالة، دار الأرقم، عمان، ١٩٨٠م، ص٣٤.

الصداق لها، بل يعطى عن الزوجة مال لأبيها يسترجعه الزوج متى طلقها، إلى غير ذلك من العادات القبيحة والمستهجنة والتي تتعارض مع تعاليم الشارع"[1].

وقد أشارت العديد من الدراسات الأكاديمية، والحقوقية إلى وجود ممارسات كثيرة لسلب حقوق المرأة خاصة الميراث في الكثير من الدول العربية وعلى سبيل المثل في دولة فلسطين، فوفقا "لدراسات واستطلاعات رأي، حول حصول النساء على حقهن في الميراث في قطاع غزة، أعادت النساء السبب في عدم حصول المرأة على حقها من الميراث إلى تغليب العادات والتقاليد السيئة في المجتمع على مبادئ الشريعة الإسلامية، حيث تمنع المرأة من الميراث بطريقة التحايل، وليس بالإكراه؛ حيث يقوم الأخوة أو غيرهم بمحاولة استرضائها بقليل من المال أو تغليب طابع الخجل لديها.

وقد تدفع المرأة إلى التنازل حرصًا منها على عدم تفسخ[2] أفراد الأسرة، أو خوفًا من حدوث الفرقة، والنزاع بين أفراد الأسرة بسبب الورثة، لاسيما أن الروابط العائلية قوية جدًا في فلسطين، وهي مصدر الحماية الوحيد للنساء، فإن أي تهديد لهذه الروابط يشكل تهديدًا حقيقيًا للمرأة.

كما قد يلجأ بعض الأشخاص لتوزيع أملاكهم قبل وفاتهم على الذكور فقط بحيث لا تستطيع النساء الوارثات اللجوء للمحاكم؛ انطلاقًا من حرية الإنسان في التصرف بأملاكه، إلا عند وقوع توزيع الأملاك في مرض الموت، وهو المرض الذي لا رجاء من الشفاء منه، والذي يمكن أن يستمر لمدة سنة قبل الوفاة"[3].

وتعد هذه الحالة نموذجًا مكررًا من مناطق كثيرة في الوطن العربي، تقف الأعراف والتقاليد فيها أمام حق أصيل من حقوق المرأة، كان أحد المبررات التي استغلها دعاة النسوية

---

(١) العرف والعمل في المذهب المالكي، مفهومها لدى علماء المغرب، عمر بن عبد الكريم الجيدي، ص٢٢١.

(٢) تشتت وتفرق.

(٣) المرأة الفلسطينية والميراث، دراسة لمركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي سنة ٢٠١٤م، ص٢٢-٢٣.

في نشر أفكارهم في البلاد العربية والإسلامية، ولا شك أن هذه الصورة تخالف الكتاب والسنة.

وترتب على مثل هذه الصور، مروق خفاف العقول والأفهام، من المجتمع العربي، وعدم البحث عن الصورة التي وضعها الإسلام للتعامل مع هذه القضايا، وآثر بعضهم الارتماء في أحضان النظريات الغربية التي تعالج المسائل الشبيهة.

٢- الفهم المشوه لنصوص الكتاب والسنة:

الفهم المشوه لنصوص الكتاب والسنة، ليس وليد اليوم، بل يضرب بجذوره في تاريخ الإسلام منذ ظهور المدرسة العقلية الأولى التي جعلت العقل معيارًا للحكم على النص الشرعي، وكذا المدرسة العقلية الحديثة[1] التي ضربت عرض الحائط بتحكيم العقل نفسه في فهم نصوص الشرع، وانقلبت على العلوم الشرعية، واللغوية لتخرج مسخًا مشوهًا للإسلام، ثم تغرس مخالبها فيها؛ لتنقض الإسلام، وتنفر منه المسلمين وغيرهم وعلى رأس القضايا التي ينادون بها مسألة النظرة الدونية للمرأة -بحسب فهمهم- في الكتاب والسنة.

ومن صور هذا الفهم المشوه المتعلق بقضايا المرأة القول بأن الإسلام يشبه المرأة بالحمار، والكلب والشيطان، ورغم الردود الكثيرة على هذه الشبهة إلا أن أصحاب هذا الفهم المتمثل في المدرسة العقلية الحديثة يصرون على موقفهم من الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "يقطع صلاة المرء المسلم إذا لم يكن بين يديه مثل مؤخرة الرحل، المرأة، والحمار، والكلب الأسود"[2].

---

(١) انظر: تفاصيل الفرق بين المدرسة العقلية القديمة والمدرسة العقلية الحديثة في: قيم من التراث، زكي نجيب محمود، ص١٣٦.

(٢) صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، ٣/ ١٠٧٦، برقم حديث ١١١٧.

"إن هذه المرويات والأحاديث التي تنسب للرسول الكريم ما هي إلا افتراء على ديننا الحنيف الذي ساوى بين الرجل والمرأة، وأعلى من شأن إنسانيتها، ولكن البعض يحاول تشويه هذا الدين، وتشويه سيرة نبيها الكريم"(١).

ويستشهد بعض أصحاب هذا الاتجاه بهذا الحديث فيقول " إن تاريخ تحقير النساء في التراث الإسلامي تاريخ طويل ومركب، يمثل لوحة فسيفساء كبيرة جدا فليس أمامنا إلا تفكيك هذه الفسيفساء قولاً ورأيًا وحديثًا وتفسيرًا"(٢).

ويستشهد الكثير من هؤلاء بأقوال شاذة لبعض المفسرين مثل تفسير الرازي الذي ينتمي للمدرسة العقلية القديمة، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الروم: ٢١]. يقول الرازي: "وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قوله: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ دليل على أن النساء خلقن كخلق الدواب والنبات وغير ذلك من المنافع، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: ٢٩]، وهذا يقتضي أن لا تكون مخلوقة للعبادة والتكليف. فنقول: خلق النساء من النعم علينا، وخلقهن لنا، وتكليفهن لإتمام النعمة علينا لا لتوجيه التكليف نحوهن مثل توجيهه إلينا وذلك من حيث النقل والحكم والمعنى، أما النقل فهذا وغيره، وأما الحكم فلأن المرأة لم تكلف بتكاليف كثيرة كما كلف الرجل بها، وأما المعنى فلأن المرأة ضعيفة الخلق سخيفة فشابهت الصبي لكن الصبي، لم يكلف فكان يناسب أن لا تؤهل المرأة للتكليف، لكن النعمة علينا ما كانت تتم إلا بتكليفهن لتخاف كل واحدة منهن العذاب، فتنقاد للزوج، وتمتنع عن المحرم، ولولا ذلك لظهر الفساد.

---

(١) المرأة والكلب والحمار وأشياء أخرى!!، وضحى بنت سيف الجهوري، : الحوار المتمدن-ع: ٣٢٤٤-٢٠١١/ ١/ ١٢.

(٢) تاريخ تحقير النساء في التراث الإسلامي، إسلام البحيري، موقع صحيفة اليوم السابع المصرية، الثلاثاء، ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٨م.

المسألة الثانية: قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ بعضهم قال: المراد منه أن حواء خلقت من جسم آدم والصحيح أن المراد منه من جنسكم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] ويدل عليه قوله: ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾[الروم: ٢١] يعني أن الجنسين الحيين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر أي لا تثبت نفسه معه، ولا يميل قلبه إليه"(١).

ويصر هؤلاء بهذا الفهم المشوه على أن الإسلام يحتقر المرأة ويشبهها بالكلب والحمار رغم أن العلماء قد ردوا عليهم وبينوا تهافت شبهاتهم، وجهلهم في مثل هذه المواضع، ورغم أن المنطق والعقل يؤكدان أن بين الأشياء قدرًا مشتركًا، وقدرًا فارقًا، وأن القدر المشترك لا يمكن أن يفهم على أنه تماثل بين الأشياء.

وكان من نتائج هذا الفهم المشوه لنصوص الشرع، مبررٌ لقبول الأفكار الجندرية الوافدة لدى المتأثرين بالتغريب.

ثانياً: المبررات الخارجية والأفكار الوافدة:

قبل القرن الثامن عشر كان المجتمع الإسلامي يعاني مثله مثل المجتمعات الغربية من موجة ظلام، خيمت على كل نواحي الحياة، ومنها بالطبع الحياة الاجتماعية بسبب ابتعاد المسلمين عن دينهم، وشاء الله تعالى أن تتزامن مع النهضة الأوربية محاولات شبيهة في البلاد العربية والإسلامية.

ولعل من المناسب هنا الإشارة إلى ما ذكره المؤرخون عن هذه المرحلة التي تشابه فيها الظلمات التي كان يعيشها الغرب مع الظلمات التي كان يعيشها العرب والمسلمون فيما قبل عصر النهضة، والأسباب التي أدت إلى تفوق النهضة الأوربية على العالم الإسلامي، وما تبعه

---

(١) انظر: تفسير الرازي، سورة الروم. وللرد على الرازي في هذه المسألة يمكن الرجوع إلى كتب التفاسير الأخرى، ومنها تفسير الطبري الذي يقول في تفسير الآية: يقول تعالى ذكره: ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة؛ ليسكن إليها، وذلك أنه خلق حوّاء من ضلع من أضلاع آدم. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ خلقها لكم من ضلع من أضلاعه. وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادّون بها، وتتواصلون من أجلها، ﴿وَرَحْمَةً﴾ رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض".

من عمليات تغريب مفتعل للمسلمين بهدف وأد اليقظة الإسلامية، وعلاقة ذلك بظهور الدعوة إلى تحرر المرأة المسلمة في القرن الثامن عشر، وما تبعه باعتبارها ركيزة أساسية في استقرار الأسرة المسلمة، فإذا هُدمت هذه الركيزة كان من السهل هدم الأسرة بل المجتمع المسلم كله، كما يرد ذلك أيضا من ناحية أخرى على المنبهرين بالحضارة الغربية الحديثة، ويثبت إنما هذا الانبهار إنما جاء استجابة لهدم اليقظة الإسلامية.

١- ما قبل اليقظة:

يقول أبو فهر، محمود شاكر رحمه الله: "في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع[1] أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة؛ فاربدّ جوه، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقيًا من آثار التهذيب العربي؛ واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات؛ وماتت الفضيلة في الناس؛ وساد الجهل وانطفأت أضواء العلم الضئيلة؛ وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال؛ فليس يرى في العالم الإسلامي ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين، كسلطان تركية، وأواخر ملوك المغول في الهند؛ يحكمون حكمًا واهنًا فاشي القوة متلاشي الصبغة؛ وقام كثير من الولاة والأمراء يخرجون على الدولة التي هم في حكمها وينشئون حكومات مستقلة ولكن مستبدة كحكومة الدولة التي خرجوا عليها؛ فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون إخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك؛ فكثر السلب والنهب؛ وفقد الأمن؛ وصارت السماء تمطر ظلمًا وجورًا، وجاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبدون يزيدون الرعايا إرهاقًا فوق إرهاق، فغلت الأيدي؛ وقعد عن طلب الرزق؛ وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين؛ وبارت التجارة بوارًا شديدًا؛ وأهملت الزراعة أيما إهمال.

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء؛ فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفًا من الخرافات وقشور الصوفية؛ وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد

(١) أَصَابَهُ الضُّعْفُ وَالوَهَنُ.

الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء؛ ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور؛ وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان؛ وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء. ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرها من سائر مدن الإسلام؛ فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي ﷺ[1] على من استطاعه ضربًا من المستهزآت؛ وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطًا بعيد القرار؛ فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الإسلام؛ لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين؛ كما يلعن المرتدّون وعبدة الأوثان"[2].

وفي ظل هذا الوضع الحالك السواد الذي يشبه كثيرًا ما كانت تعيشه أوروبا فيما قبل الثورة الصناعية، كانت هناك دعوات عربية إسلامية أصيلة، تحاول الخروج من هذه الأوضاع مبشرة بيقظة جديدة في مجالات شتى، لكن هيهات لها، وقد كان الغرب قد قرر هدم هذه اليقظة في عقر دارها؛ لتستمر يقظته هي المهيمنة وحدها والتي اعتبرها الكثير من المنخدعين في الحضارة الأوربية الحديثة مشعلاً للاستنارة، رغم أن وقودها هو وأد الاستنارة الإسلامية والعربية.

يقول محمود شاكر: "فهب من جوف الغفوة الغامرة أشتات من رجال أيقظتهم هذه التقوض، فانبعثوا يحاولون إيقاظ الجماهير المستغرقة في غفوتها... أحسوا خطرًا فراموا إصلاح الخلل الواقع في حياة دار الإسلام: خلل اللغة، وخلل العقيدة، وخلل علوم الدين، وخلل علوم الحضارة"[3].

(١) لعله يقصد الذي فرضه الله تعالى على عباده، وبلغه نبيه ﷺ.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد، تحقيق: وتعليق أمير شكيب أرسلان، ص٢٦٠.

(٣) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، ص٨١.

وقد حصر محمود شاكر رحمه الله هؤلاء الرجال في خمسة من الأعلام هم: «البغدادي»[(١)] و«الجبرتي الكبير» في مصر، و«ابن عبد الوهاب» في جزيرة العرب، و«المرتضى الزبيدي» في الهند ومصر، و«الشوكاني» في اليمن. فبدأوا في محاربة البدع، وإحياء التراث: من لغة، وعقيدة، وعلوم، وألّفوا العديد من الكتب للمسلمين[(٢)].

إذن فواقع العالم الإسلام، في الفترة التي بدأت فيها أوروبا مرحلة اليقظة قد شهد هو أيضا محاولات لليقظة الإسلامية، لكن الغرب كان يتربص بها، ويصر على وأدها بكل الطرق لبسط هيمنته على العالم الإسلامي، وقد نجح في ذلك إلى حد كبير عن طريق حملات الاستعمار التي بدأت بالحملة الفرنسية على مصر والشام، وتحقق لهم مرادهم سواء بالحملات العسكرية، أو الغزو الفكري الذي يهدف إلى : "خلق وإنشاء عقيدة جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها"[(٣)]، "وتصوير الحضارة الغربية بمظهر التقدم العلمي والرقي الحضاري في جميع الميادين، مع إبراز الأمة الشرقية أمة متخلفة، ليست ذات تقدم وتحضر. ومحاولة ربط تخلف الأمة الشرقية ماديًا بالدين، لتصور وجود تناقض بين الدين والقيم[(٤)].

ولم يقتصر الغزو الفكري فقط على مجرد نشر الأفكار الغربية الدخيلة على المسلمين في عقر دارهم ولكن انتقى أيضا من المسلمين من يمكنه أن يجعلهم فراخًا له في كل وقت عن

---

(١) هو: عبد القادر بن عمر صاحب خزانة الأدب (١٠٣٠ – ١٠٩٣هـ/ ١٦٢٠ –١٦٨٣م) في مصر.

(٢) راجع ما كتبه الشيخ عن هؤلاء الأعلام في كتاب رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص٨٠ وما بعدها.

(٣) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ، ص٥٦.

(٤) شبهات التغريب وأثرها في المرأة المسلمة، عرض ونقد، حنان بن عطية الله ضيف الله المعيدي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ، ص٦.

طريق البعثات التعليمية وغيرها، وعلى رأس هذه البعثات، تلك البعثة التي كان إمامها الشيخ الأزهري المصري رفاعة رافع الطهطاوي[1][2].

بدأت مطالب حرية المرأة المسلمة عن طريق دعاة التغريب من هذه الثغرة التي فتحت على أوروبا وحاولوا إسقاط ما تعرضت له المرأة الغربية من قيود على واقع المرأة العربية، وكيف حققت حريتها وأرادوا تعميم هذه الصورة لديهم على المرأة المسلمة، رغم أن المجتمع الغربي وواقعه ونظرته للمرأة مغاير تمامًا للمجتمع العربي الذي وضع فيه الإسلام قيمًا وثوابت راقية في التعامل مع المرأة، حاول هؤلاء استغلال السلوكيات الخارجة على مفهوم الإسلام والتي أكلت حقوق المرأة كما بينا في شكل تلك التقاليد المتوارثة، وجعلوها قاعدة باسم الإسلام، وطالبوا من خلالها بحقوق المرأة بعيدًا عن الثوابت الدينية.

ولعل هذه المقدمة الموجزة عما كان عليه العرب والمسلمون في تلك الحقبة التي ظهرت فيها الموجة الأولى من الحركة النسائية، تكون مسوغًا لفهم مبررات ظهور دعوات الحركة النسوية الأوروبية وانتقالها إلى بلاد المسلمين عن طريق دعاة التغريب.

وقد مرت مبررات تحرير المرأة العربية بعدة مراحل، شبيهة بالموجات الأوروبية الثلاثة التي أشرنا إليها في المبحث السابق.

المرحلة الأولى:

وتتمثل في العائدين من البعثات الأوروبية بعد الحملة الفرنسية (دعاة العصرانية)[3]. والملاحظ أن دعاتها، كانوا يسيرون خلف دعاة تحرير المرأة في أوروبا حذو القذة بالقذة،

---

(١) رافع الطهطاوي هو رفاعة بك بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع، ويُلحقون نسبهم بمحمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحُسين بن فاطمة الزهراء، من قادة النهضة العلمية في مصر في عهد محمد علي باشا. وُلد رفاعة رافع الطهطاوي في ١٥ أكتوبر ١٨٠١م، بمدينة طهطا إحدى مدن محافظة سوهاج بصعيد مصر.

(٢) انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، ص٨٤ وما بعدها.

(٣) العصرانية: هي اتجاه يعمد إلى تطويع أحكام الدين ونصوصه إلى حاجات العصر، وعمدتهم في ذلك ما تؤديه إليه عقولهم مما يعتبره مصلحة يوجب تقديمها بحجة روح الإسلام، ومقاصد الدين، وضرورياته. وفيما يخصها فهناك عدة تعريفات

لكنهم يرتدون عباءة دينية، فلم يخرجوا كثيرًا عن إطار الثقافة الإسلامية، والاجتهادات الفقهية التي تحاول البحث عن حقوق المرأة، وتتمثل مبررات هذه المرحلة فيما يلي:

- التركيز على حق المرأة في التعليم الذي حرمت منه خلال سنوات الجهل.
- العمل المشروط بأن يكون في نطاق الأسرة، وهو ما يتماثل مع دعوة أصحاب الموجة الأولى للحركة النسوية الغربية مثل الإنجليزية ماري ولستونكروفت[1].

ومن هذه المبررات ما يقوله رفاعة الطهطاوي:

"ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معًا لحسن معاشرة الأزواج، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب، ونحو ذلك. فإن هذا مما يزيدهن أدبًا وعقلًا، ويجعلهن بالمعارف أهلًا، ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأي، فيعظمن في قلوبهم، ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش، مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لامرأة مثلها. وليمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها. فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل، وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق، ويقربها من الفضيلة"[2].

وهنا ملاحظتان:

الأولى: مبررات الطهطاوي كانت تسير بالتوازي مع مبررات المرحلة الأولى من الحركة النسوية الغربية، وتمثلت في المطالبة بحق المرأة في التعليم، والعمل، لكن الطهطاوي هنا لم ينس أنه لايزال يرتدي العباءة الأزهرية، وأنه يخاطب المجتمع المسلم، فلم يفته أن يصبغ دعوته

=لها: اتجاه يقدم العقل على النقل، ويجعل العقل مصدراً من مصادر الدين، ومُحَكَماً في النصوص، انظر: الاتجاهات العقلية الحديثة، ناصر بن عبد الكريم العقل، ص١٧.

(١) ماري وولستونكرافت، (٢٧ أبريل ١٧٥٩ إلى ١٠ سبتمبر ١٧٩٧م)، كاتبة بريطانية، وفيلسوفة، ومناصرة لحقوق المرأة، من أعمالها "المرأة القارئة".

(٢) المرشد الأمين، رفاعة الطهطاوي، ص١٤٣- ١٤٤.

بالصبغة الدينية التي تمارس تأويل النصوص الشرعية؛ ليظهر كفقيه مجتهد، كان منبهرًا بالحركة العلمية الأوروبية.

الثانية: ركز الطهطاوي أيضا على أن الأصل هو بقاء المرأة في بيتها، وأن تعليمها الهدف منه خدمة الأسرة، وعملها أيضًا يكون في محيط الأسرة، وهذا يتماشى أيضا مع دعوات المرحلة الأولى من الحركة النسوية الغربية.

المرحلة الثانية: مرحلة السفور:

يمكن التأريخ لهذه المرحلة بظهور كتابات قاسم أمين[1] عام ١٨٨٩م، الذي دعا فيه المرأة العربية إلى اقتفاء أثر المرأة الغربية، وسلك المسلك العلماني الليبرالي عند طرحه لقضايا المرأة، غير أن كتاباته هو أيضا ظلت تحت مظلة الدين، كما فعل سلفه الطهطاوي، كما ظهر في هذه المرحلة أيضا تأسيس الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٢٣م، ومن أبرز نسويات هذه الفترة هدى شعراوي[2] وصفية زغلول[3]، ورغم ظهور هذه الاتجاهات مبكرًا في مصر والشام،

(١) قاسم أمين (ديسمبر ١٨٦٣م، في الإسكندرية – أبريل ١٩٠٨م في القاهرة)، أحد مؤسسي الحركة الوطنية المصرية وجامعة القاهرة. يُنظر إلى قاسم أمين تاريخيًا على أنه واحد من "النسويين الأوائل" في العالم العربي، تأثر أمين بشدة بأعمال داروين وهربرت سبنسر وجون ستيوارت ميل، وكان من أوائل المدافعين عن حقوق المرأة في المجتمع المصري. من أهم كتبه: تحرير المرأة الذي صدر عام ١٨٩٩م.

(٢) نور الهدى محمد سلطان الشعراوي، ولدت في مدينة المنيا في صعيد مصر في ٢٣ يونيو ١٨٧٩، وتوفيت في ١٢ ديسمبر ١٩٤٧م. تنتمي هدى شعراوي إلى الجيل الأول من الناشطات النسويات المصريات، بالإضافة إلى شخصيات بارزة أخرى مثل: نبوية موسى، وعديلة نبراوي، وغيرهن. كانت من أبرز الناشطات المصريات اللاتي شكلن تاريخ الحركة النسوية في مصر في نهايات القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين.

(٣) صفية مصطفي فهمي (١٨٧٨م–١٢ يناير ١٩٤٦م) ابنة مصطفى فهمي باشا وهو من أوائل رؤساء وزراء مصر منذ عرف البلد نظام الوزارة في أوائل القرن التاسع عشر. وزوجة سعد زغلول. لقبت باسم "صفية زغلول" نسبة إلى اسم زوجها، كذلك بلقب "أم المصريين" إثر مشاركتها في المظاهرات النسائية إبّان ثورة ١٩١٩م، كان خلعها للنقاب لحظة وصولها الإسكندرية، وظهورها من دونه في المحافل العامة، والصور هو المرحلة الأولى لخلع النقاب عن فتيات مصر حيث طلب سعد من بعض النساء اللاتي حضرن خطابه أن يقمن بخلع النقاب، وهو الذي شجع نور الهدى سلطان الشعراوي والملقبه بهدى شعراوي التي كوّنت الاتحاد النسائي أن تخلع النقاب ومن ورائها العديد من النساء.

إلا أنها تأخرت في دول الخليج العربي؛ نظرًا لأن الأعراف والتقاليد السائدة عملت على تأجيل ذلك إلى بداية الخمسينات من القرن الماضي.

"وقد ظهرت في أواخر ١٩٤٨م بعض الأقلام النسائية التي تدعو المرأة إلى المشاركة بوعي في الحياة العامة. كما كتبت بعض الشخصيات الرجالية مؤيدة لحق المرأة في الحرية. وفي عام ١٩٥٣، اجتمعت مجموعة من الشابات مناديات بالسفور، وأطلق على هذا الاجتماع «ندوة الحجاب». أثار خبر الاجتماع العديد من ردات الفعل المؤيدة والمعارضة. إلا أن هذه الحركة لم تخرج عن نطاق الاجتماع والكتابة في الصحف، لكنه دفع المرأة للتفكير في إنشاء جمعياتها على خطى الجمعيات العربية"(١).

غير أن هذه المسائل لم تكن لترضى دعاة التغريب المعاندين ومن بينهم: سلامة موسى (٢) الذي اعتبر أن مرحلة عصر النهضة وجهود رفاعة الطهطاوي في مصر لم تكن كافية لتحرير المرأة على النموذج الغربي في هذه الفترة، وأنها في حاجة إلى ما هو أكثر، فيقول:

"ولكن شيئًا آخر عاق هذه الدعوة -أي دعوة الطهطاوي- هو أن رفاعة الطهطاوي لم يدعُ إلى السفور، وكأنه كان راضيًا بأن تتعلم المرأة، وتبقى في البيت لا تخرج إلى المجتمع، ولا تختلط به. بل إن نظرته للمرأة من ناحية تعليمها إنما كانت قائمة على أنها يمكن أن تزيد صلاحيتها بالزواج، وخدمة الرجل وأولادها عندما تكون متعلمة؛ أي إنه لم يرتفع إلى غاية التعليم للمرأة من تربية شخصيتها، وإنسانيتها بصرف النظر عن زواجها أو عزوبتها. ولذلك احتجنا إلى قاسم أمين الذي دعا إلى السفور قبل نحو ستين سنة.

(١) انظر: تاريخ الحركة النسائية في الخليج.. التعليم والوعي والتأسيس، سبيكة النجار، مجلة المجلة، ١٩ ديسمبر ٢٠١٣م.

(٢) سلامة موسى (١٨٨٧م- ٤ أغسطس ١٩٥٨م)، . هو رائد الاشتراكية المصرية، ومن أول المروّجين لأفكارها. ولد في قرية بهنباي وهي تبعُدْ سبعةْ كيلو متراتْ عن الزقازيق لأبوين قبطيين. أصدر حوالي أربعين كتابا منها: "الاشتراكية" و"مقدمة السوبر مان"، و"حرية العقل في مصر"، و"النهضة الأوربية"، و"الدنيا بعد ثلاثين عاما"، و"الحرية وأبطالها في التاريخ"، و"أحلام الفلاسفة"، و"المرأة ليست لعبة الرجل"، و"هؤلاء علموني".

وكلاهما، رفاعة الطهطاوي وقاسم أمين، عاش في باريس، ولكن قاسم أمين كان أنضج، وأبصر في التفطن لمعاني الحضارة الأوربية. ولذلك دعا إلى السفور؛ أي دعا إلى اختلاط المرأة بالمجتمع، تدرس شؤونه، وتحيا الحياة المستقلة التي تمليها عليها شخصيتها"(١).

"وقد ظهر قاسم أمين الذي ولد في مصر ورحل إلى فرنسا ليتم تعليمه، لينبهر بفرنسا كما انبهر رفاعة من قبل حتى صرح قاسم بأن أكبر الأسباب في انحطاط الأمة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة: التمثيل، والتصوير، والموسيقى"(٢).

"وألف قاسم أمين كتاب(تحرير المرأة) عام ١٨٨٩م حمل فيه على الحجاب ودعا إلى السفور، وذلك بترديد أن الحجاب عادة، وليس تشريعًا، وقد تناول في كتابه أربع مسائل:

- الحجاب.
- اشتغال المرأة بالشؤون العامة.
- تعدد الزوجات.
- الطلاق.

وذهب في كل مسألة إلى ما يطابق مذاهب الأوروبيين زاعمًا أن ذلك هو مذهب الإسلام، وانجر في كتابه إلى التهكم بالفقهاء وعلماء الشريعة، وقد ألبس آراءه هنا لباسًا مخادعًا حتى قال بعض معاصريه (ما رأيت باطلا أشبه بحق من كلام قاسم أمين)"(٣).

ومن ذلك اعتبار أن الحجاب ما هو إلا قيد وضعه الرجال والفقهاء لتكبيل حرية المرأة وانطلاقتها: يقول قاسم أمين بعد أن أورد عددًا من الأدلة الشرعية، وأقوال الفقهاء والمفسرين في مسألة الحجاب: "والحق أن الانتقاب، والتبرقع ليسا من المشروعات الإسلامية لا للتعبد ولا للأدب، بل هما من العادات القديمة السابقة على الإسلام والباقية بعده، ويدلنا على ذلك أن هذه العادة ليست معروفة في كثير من البلاد الإسلامية وأنها لم تزل معروفة عند أغلب

---

(١) المرأة ليست لعبة الرجل، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م، ص٥٤- ٥٦.

(٢) عودة الحجاب، محمد بن أحمد بن اسماعيل، ٤/ ٣٤.

(٣) أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، بشر بن فهد الشريف، ص١٦-١٧.

الأمم الشرقية التي لم تتدين بدين الإسلام، إنما من مشروعات الإسلام ضرب الخمر على الجيوب، كما هو صريح الآية، وليس في ذلك شيء من التبرقع والانتقاب"(١).

ثم يقول: "ولا يوجد اختلاف في جميع كتب الفقه من أي مذهب كانت، ولا في كتب التفاسير في أن هذه النصوص الشريفة هي خاصة بنساء النبي، أمرهن الله ﷻ بالتحجب، وبين سبب هذا الحكم، وهو أنهن لسن كأحد من النساء، ولما كان الخطاب خاصا بنساء الرسول ﷺ وكانت أسباب التنزيل خاصة بهن لا تنطبق على غيرهن، فهذا الحجاب ليس بفرض ولا بواجب على أحد من نساء المسلمين"(٢).

وبالتالي "فكانت الضربة الأولى للمرأة، فنادوا بأن تخلع حجابها ففعلت وشجعها على ذلك الغافلون من أبناء دينها، ثم نادوا بأن تتجرد من ملابسها شيئًا وراء شيء، ووجدت المرأة من أبنائها من يشجعها على ذلك، ويزينه لها، غافلاً عما يقول، أو ضالعًا مع الأعداء. "وقد احتفت الدوائر الغربية بالاتحاد النسائي المصري وحضرت الدكتورة ريد(٣) رئيسة الاتحاد الدولي إلى مصر لتدرس تطور الحركة النسائية فيها، وقد التقت هدى شعراوي بموسيليني(٤) عام ١٩٢٢م وأتاتورك(٥) عام ١٩٣٥م، وفي عام ١٩٤٤م نجحت هدى شعراوي، وزميلاتها في إقامة مؤتمر نسائي عربي، أصدر عدة قرارات ومطالبات منها:

- تقييد الطلاق وتعدد الزوجات والحد من سلطة الولي.

---

(١) حرية المرأة، قاسم أمين، ص٤٢-٤٣.

(٢) حجاب المرأة، قاسم أمين، ص٤٣.

(٣) الدكتورة ريد، إحدى ابرز الناشطات النسويات، تولت رئاسة الاتحاد النسائي الدولي بداية العشرينات.

(٤) بينيتو أندريا موسوليني حاكم إيطاليا ما بين ١٩٢٢م، ١٩٤٣م، شغل منصب رئيس الدولة الإيطالية ورئيس وزرائها وفي بعض المراحل وزير الخارجيَّة والداخليَّة. وهو من مؤسسي الحركة الفاشية الإيطاليّة وزعمائها، سمي بالدوتشي، أي: القائد من عام ١٩٣٠م إلى ١٩٤٣م. يعتبر موسوليني من الشخصيات الرئيسية المهمة في تكوين الفاشية.

(٥) مصطفى كمال أتاتورك (١٩ مايو ١٨٨١م-١٠ نوفمبر ١٩٣٨م)، أول رئيس للجمهورية التركية (١٩٢٣م-١٩٣٨م)، والقائد الحركة التركية الوطنية، والقائد العام للجيش التركي خلال حرب الاستقلال التركية. ألغى الخلافة العثمانية، وأسس مكانها تركيا المعاصرة التي أصبحت كما أراد دولة علمانية غربية الطابع والقوانين والهوى.

- المساواة التامة بين الرجل والمرأة.
- المطالبة بحذف نون النسوة.
- المطالبة بالجمع بين الجنسين في التعليم الابتدائي"[1].

وظهر بعد ذلك العديد من الكيانات النسائية التي تسير في هذا الإطار.

"ثم توالت الأحداث، وانتقلت العدوى لبلاد عربية أخرى، وتكاثرت المجلات الهادمة للحجاب، والعفاف الداعية إلى السفور، والتبرج، ولاتزال تزداد يومًا بعد يوم"[2].

"ولم يمض على ذلك زمن طويل حتى أصبح اختلاط البنات، والبنين شيئًا مسلمًا به في معاهد التعليم أكثرها وفي الاجتماعية أغلبها، ثم زجوا بالمرأة في ميادين العمل، ومصارعة الحياة، ومزاحمة الرجال، تقوم بما لم تهيئه لها طبيعتها، وما لا تستطعه في كثير من الأحيان، ففعلت صاغرة ذليلة مخلاة في المزارع، والمصانع، وخدمت الرجال في الفنادق، وغنت لهم، ورقصت، وقامت بالأدوار التمثيلية لمتعهم؛ بصوتها، وجسمها، وما حرم الله عليها فعله، حتى غدت سلعة رخيصة، تباع، وتشترى"[3].

ومن هنا فإن مبررات هذه المرحلة باتت أوسع من سابقتها، وتتلخص فيما يلي:

- المقارنة بالغرب، ودفع المرأة نحو السفور، ونزع الحجاب باعتباره حائلاً دون حريتها.
- لي أعناق النصوص الشرعية في الاستدلال بآراء أصحاب تحرير المرأة.
- ظهور النزعة الاشتراكية، والدفع بالمرأة إلى العمل في المصانع، والشركات، وغيرها، باعتبار المساواة في النوع الإنساني مع الرجل، وتشجيعها على الاعتماد على نفسها فقط دون اعتبار للأسرة.

---

(١) أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، بشر بن فهد الشريف، ص٢٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الغزو الفكري وأثره في العالم الإسلامي المعاصر، علي عبد الحليم محمود، جامعة الملك سعود، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص١٤١.

المرحلة الثالثة:

بدأت في هذه المرحلة تنفصل بشكل كبير عن المرحلتين السابقتين، وتأخذ مسارات جديدة، تبلورت خلالها دراسات الجندرية، والنوع الاجتماعي، وكان أخطرها ما نتج عن مؤتمر السكان والتنمية الذي استضافته العاصمة المصرية القاهرة عام ١٩٩٤م، وتضمن المؤتمر عدة توصيات تصادم المجتمع العربي، وتخالف الدين الإسلامي منها:

١- الدعوة لتأخير سن الزواج.

٢- الدعوة إلى السماح بتعاطي الجنس دون قيود: بين الرجال والرجال (اللواط)، وبين النساء والنساء (السحاق) وبين الرجال والنساء بدون زواج (الزنا).

٣- الدعوة إلى تقليل إنجاب الأولاد، وتوفير جميع وسائل منع الحمل، وتدريب النساء، والرجال عليها.

٤- الدعوة إلى الإجهاض، وإرشاد النساء إلى الإجهاض الذي لا يسبب مشاكل صحية[(١)].

في هذه المرحلة أيضًا ظهرت مطالب جديدة بعيدًا عن حقوق المرأة كإنسان، يشارك في المجتمع، إلى ما هو أبعد من ذلك، فظهرت نظريات شاذة تسير في إطار، استكمال تحرير المرأة، وتحرير الإنسان عمومًا من كل قيود. حتى القيود الجسدية التي تذهب إلى أن من حق المرأة ألا يسيطر عليها الرجل بمجرد الارتباط بالعلاقة الزوجية، فمن حقها أن تمنح جسدها لمن تشاء، بل من حقها أيضا ألا تمنح جسدها للرجل، وتقتصر علاقتها بالنساء.

ولعل من أهم مبررات ظهور هذا الشذوذ الفكري في الغرب ما يلي:

أولاً: الجانب الليبرالي، ومواصلة تحرير المرأة، وقد ظهر معه نظريات فلسفية جديدة، كانت لبنة لما يسمى الثورة الجنسية في الغرب، والتي اعتمدت على نظريات التحليل النفسي، ومن بينها نظرية التحليل النفسي التي قدمها العالم أبراهام ماسلو[(٢)] في ورقته البحثية "نظرية

---

(١) انظر: تقرير المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، ١٣ سبتمبر ١٩٩٤، الصادر عن الأمم المتحدة، نيويورك ١٩٩٥.

(٢) ابراهام ماسلو (١ ابريل ١٩٠٨م-٨ يونيو١٩٧٠م) عالم نفس أمريكي، ولد في بروكلين، نيويورك، أبواه مهاجران يهوديان من روسيا، اشتهر بنظريته تدرج الحاجات.

الدافع البشري" عام ١٩٤٣م. وقد اعتبر ماسلوا في نظريته أن الجنس من الحاجات البشرية، وليس من الغرائز، فأصبح لديه كالماء، والهواء، والطعام.

ثانياً: النظرة الاشتراكية الماركسية للمرأة، وتحريرها من مجرد اعتبارها مجرد ترس بيولوجي في المجتمع، بهدف إلغاء المجتمع الطبقي إلى تحرير النساء، وإلغاء الأسرة. تخصيص علاقة بين (رجل وامرأة) من بقايا البرجوازية(١) وينافي الشيوعية والملكية العامة.

المدارس النسوية العربية:

تنوعت المدارس الجندرية والنسوية العربية بحث الثقافات المتأثرة بها، وقد كان من أبرز هذه المدارس، المدرسة الليبرالية، والمدرسة الاشتراكية، وكل منها تمثل نظرات متباينة لحقوق المرأة بحسب النظريات الاقتصادية والاجتماعية التي تعبر عنها، امتد تأثير هذه المدارس إلى المنطقة العربية، لتأخذ صبغة محلية بالأفكار والاتجاهات نفسها.

النسوية الليبرالية:

"يقوم هذه الاتجاه في النظرية النسوية الفرضية البسيطة على أن جميع الناس قد خلقوا متساويين، ولا ينبغي حرمانهم من المساواة بسبب نوع الجنس، والمذهب النسائي الليبرالي يرتكز على المعتقدات التي جاء بها عصر التنوير، والتي تنادى بالإيمان بالعقلانية، والإيمان بأن المرأة والرجل يتمتعان بنفس الملكات العقلية الرشيدة، والإيمان بأن التعليم كوسيلة لتغيير، وتحويل المجتمع، والإيمان بمبدأ الحقوق الطبيعية. وبناء على هذا، فما دام الرجال والنساء متماثلين من حيث طبيعة الوجود، إذن فإن حقوق الرجال ينبغي أن تمتد لتشمل النساء"(٢).

"تشمل مجموعة كبيرة من الآراء، ليست جميعها متوافقة، ولكن بصفة عامة يمكن القول بأن النسويات الليبرالية يسعين لتحقيق: مجتمع يقوم على المساواة، ويحترم حق كل فرد فيه في

---

(٣) البرجوازية هي طبقة اجتماعية ظهرت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، تمتلك رؤوس الأموال والحرف، كما تمتلك كذلك القدرة على الإنتاج، والسيطرة على المجتمع، ومؤسسات الدولة للمحافظة على امتيازاتها، ومكانتها بحسب نظرية كارل ماركس.

(٢) الحركات النسائية العمالية، وتحديات سوق العمل، السيد حنفي عوض، ص٧٢.

توظيف إمكانياته، وطاقاته، وترجع جذور النسوية الليبرالية إلى بدايات النسوية، عندما نادى كل من جون ستيوارت ميل[1] وماري ولستونكروفت بضرورة الإصلاح الاجتماعي؛ لإعطاء المرأة نفس المكانة، والفرص التي يحصل عليها الرجل، وقد تأثر كلاهما في صياغة هذه الأفكار بفلاسفة التنوير مثل توماس هوبز[2] الذي يقول في كتابه (المواطن)(١٦٥١) إن حق جميع الرجال في الحصول على كل شيء يجب ألا يظل محفوظا"[3].

"وقد انتُقدت النسوية الليبرالية انتقادًا شديدًا من جانب من يعتقدون أنها لا تركز إلا على الجوانب السطحية للتحيز للرجل، وأنها لا تفعل شيئًا لتفكيك التراكيب الأيديولوجية العميقة التي تخضع النساء للرجال، كما هوجمت بسبب انحيازها لنساء الطبقة الوسطى، وتجاهلها الاحتياجات الخاصة بالأقليات"[4].

النسوية الماركسية:

لم ترفض النسوية الاشتراكية قضايا الاتجاه الفردي الليبرالي الخاصة بالحرية، والمساواة، ولكنها اعترضت على تطبيق مفاهيم القيمة، والمكانة على أفراد منفصلين اجتماعياً عن حياتهم ككائنات اجتماعية ويدركون فقط بوصفهم أفرادًا مستقلين أكثر من إدراكهم في إطار الحياة الجمعية والأفعال الاجتماعية[5].

---

(١) جون ستيوارت مل هو فيلسوف بريطاني شهير، ولد في لندن عام ١٨٠٦م، وهو من رواد الفلسفة الليبرالية، توفي عام ١٨٧٣م.

(٢) توماس هوبز (٥ أبريل ١٥٨٨م – ٤ ديسمبر ١٦٧٩م) كان عالم رياضيات وفيلسوفًا إنجليزيًّا، ساهم في التأسيس لكثير من المفاهيم التي لعبت دورا كبيرا ليس فقط على مستوى النظرية السياسية بل كذلك على مستوى الفعل والتطبيق في كثير من البلدان وعلى رأسها مفهوم العقد الاجتماعي. كذلك يعتبر هوبز من الفلاسفة الذين وظفوا مفهوم الحق الطبيعي في تفسيرهم لكثير من القضايا المطروحة في عصرهم.

(٣) النسوية وما بعد النسوية، ص٣٩٣.

(٤) المرجع السابق، ص٣٤٠.

(٥) عرض تحليلي للاتجاهات الحديثة في دراسة المرأة، علياء شكري وآخرون، علم اجتماع المرأة، مكتب زهراء الشرق، القاهرة، فاتن أحمد، ص٥.

وتتأثر هذه المدرسة بالاتحاد السوفييتي، والمجتمعات الاشتراكية، التي تعتبر المرأة ترسًا في آلة المجتمع.

"كثيراً ما يحاول الماركسيون والماركسيات مدّ تحليلهم الطبقي ليشمل النساء، في تقسيم ودمج لا يبدو بالنسبة للنسوية صالحاً للتعبير عن تجربة النساء المشتركة والمختلفة. في عام ١٩١٢م، على سبيل المثال، توجهت روزا لوكسمبورغ(١) لمجموعة من النساء بخصوص قضية حق الانتخاب: «معظم تلك النساء البرجوازيات اللواتي يتصرفن كلبوات في الصراع ضد الامتيازات الذكورية سيتحولن إلى حملان وديعة في معسكر المحافظين ورجال الدين بعد أن يحصلن على حق الانتخاب. بل سيكنّ أكثر رجعية بأشواط من الذكور من أبناء طبقتهنّ. باستثناء القلة ممن لديهن مهنة، أو وظيفة، لا تشارك البرجوازيات في الإنتاج الاجتماعي. هن فقط مستهلكات للفائض الذي يمتصه رجالهن من الطبقة العاملة. هن طفيليات على طفيليات هذا الجسم الاجتماعي». أما تعاطفها فيتوجه لنساء الطبقة العاملة اللواتي يستمددن حقهن في التصويت من كونهن «منتجات في المجتمع كالرجال». في نقطة عمياء في منظورها تعادل تلك التي في منظور ميل، تدافع لوكسمبورغ عن حق النساء في التصويت على أساس طبقي، مع أن التصويت كان سيفيد النساء بغض النظر عن طبقتهن في كلا الحالتين.

لا لوكسمبورغ، ولا معظم الماركسيين والماركسيات فكرن بالنساء كنساء، بغض النظر عن التمايزات الطبقية وبمعزل عن البيولوجيا"(٢).

نقد النسوية الماركسية:

(١) روزا لكسمبورغ، (٥ مارس ١٨٧١م- ١٥ يناير ١٩١٩م) هي منظّرة ماركسية وفيلسوفة واقتصادية وإشتراكية ثورية من أصول بولندية يهودية، عملت بالتجارة، وأصبحت مواطنة ألمانية. كانت عضواً في كل من الديمقراطي الإشتراكي لمملكة بولندا وليتوانيا، الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني والحزب الإشتراكي الديمقراطي المستقل والحزب الشيوعي الألماني.

(٢) النسوية، الماركسية، المنهج، والدولة: أجندة للعمل النظري، كاثرين ماكينون، ترجمة: كرم نشار، ١٧ يناير ٢٠١٧م.

من أهم ما يواجه النسوية الماركسية من اعتراضات، اعتبار أن هدم الأسرة أمر بديهي فعلى سبيل المثال يرى أنجلز(١) أن:"انفصال المجتمع إلى أسرٍ مفردةٍ متخالفة، يتضمن بصورةٍ متزامنة توزيع العمل ومنتجاته، وهو توزيعٌ غير متكافئ في واقع الأمر، كميًّا وكيفيًّا على حد سواء؛ وبالتالي فإنه يتضمن توزيعًا غير متكافئ للملكية. وهذه الملكية تقع نواتها، أو شكلها الأول، في الأسرة، حيث الزوجة والأولاد عبيد الرجل".

ويقول أنجلز أيضًا: "وكان الشكل العائلي الذي ظهر في المدنية، وأصبح الشكل السائد هو الزواج الحديث وسيادة الرجل على المرأة، والعائلة باعتبارها وحدة المجتمع الاقتصادية. أما القوة التنفيذية للمجتمع فهي الدولة، التي تظهر في كل العصور باعتبارها دولة الطبقة الحاكمة، وتبقى في كل الحالات أداة للسيطرة على الطبقة الخاضعة"(٢).

ويقول: "إن أول صراع طبقي ظهر في التاريخ كان مع الصراع بين الرجل والمرأة في ظل الزواج، وأن أول خضوع طبقي يتمشى مع خضوع المرأة للرجل"(٣).

ومن أبرز ما يقوض النسوية الماركسية: "فكرة التكامل بين الرجل والمرأة التي تتعارض مع الإسلام الذي يؤكد هذا المفهوم على أساس الدور الاجتماعي الذي يلعبه الطرفان. فالنسوية ترى في الزواج وسيلةً لتسلّط الرجل على المرأة، بينما نرى أن الإسلام يدعو الرجل والمرأة إلى إقامة مؤسسة العائلة على أساس الزواج، ويشرِّع من القوانين ما يحفظ لكلٍّ من الطرفين حقوقه ويحدّد لـه واجباته، وتعطي القوانين الإسلامية سلطةً للرجل في إدارة العائلة، الأمر الذي لا تقبل به النسوية بأيِّ حالٍ"(٤).

الخلاصة:

---

(١) فريدريك إنجلز ولد في ٢٨ نوفمبر ١٨٢٠م، في بارمن، بروسيا وتوفي في ٥ أغسطس ١٨٩٥م، كان فيلسوفاً ورجل صناعة ألماني يُلقّب بأبو النظرية الماركسية إلى جانب كارل ماركس. اشتغل بالصناعة وعلم الاجتماع، وكان كاتباً، ومنظراً سياسياً، وفيلسوفاً. يعتبر أب نظرية الماركسية بالإضافة إلى كارل ماركس نفسه.

(٢) أصل العائلة والملكية الخاصة، فريديرك أنجلز، ترجمة: أحمد عز العرب، ص١٩٨.

(٣) المرجع السابق، ص٦٠.

(٤) الإسلام في مواجهة النسويّة، محمد لنغهاوزن، مجلة الاستغراب، العدد ١٦، السنة الرابعة، ٢٠١٩م.

مما سبق نلاحظ أن المرأة عانت في التاريخ الغربي معاناة مريرة، كانت سببًا مباشرًا ومبررًا مهما لديهم لنشأة حركات نسوية تدعو لتحرير المرأة، كما خضعت محاولات تحرير المرأة أيضا فيما بعد لنظريات اقتصادية وسياسية، واجتماعية، كما رأينا سواء كان في الاتجاه الاشتراكي، الذي يعتبر المرأة مجرد ترس في آلة اجتماعية يجب تحريره حتى من الارتباط الأسري، وتحرير المرأة، ثم انتقلت الكثير من هذه الأفكار إلى عالمنا العربي والإسلامي.



المبحث الثالث

الجندر في ميزان العقيدة والشريعة الإسلامية

انبنت مطالب الجندرية، وتحرير المرأة عند الغرب، وعند المتأثرين بهم من العرب، كما بينا على مخالفة الفطرة، التي فطر الله الناس عليها، إذ انتقلت النظرة للمرأة لديهم من مجرد كائن مُسخرٍ لخدمة الرجل ومتعته، إلى انفلات وتحرر بلا قيود امتد إلى نواحي أخرى أدت إلى هدم الأسرة، والمجتمعات المتأثرة بدعوات التحرر؛ في حين جاء الإسلام، عقيدة وشريعة، ووضع المرأة في مكانها الصحيح، وهو ما فهمه المسلمون الأسوياء من الكتاب والسنة؛ فالإسلام دين الوسطية؛ فلا إفراط فيه، ولا تفريط، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[البقرة: ١٣٤]. وهذه القاعدة الربانية الشريفة، هي التي حمت المرأة في الإسلام من اعتبارها سلعة للمتعة والمتاجرة باسم الحرية، أو مجرد آلة لا قيمة لها في المجتمع إلا الإنجاب.

وتنطلق نظرة الإسلام للمرأة من عدة اعتبارات، منها ما يرتبط بالعقيدة، ومنها ما يرتبط بالتكاليف الشرعية للرجل والمرأة، وتتخلص هذه النظرة فيما يلي:

أولاً: العقيدة الإسلامية:

ويتعلق هذا الجانب بقاعدة عامة، وهي الإيمان بربوبية الله سبحانه، وقضائه وقدره وعدله وحكمته في خلقه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾[البقرة: ٢١]، فالله تعالى هو الذي خلق وهو الذي شاء هذا التنوع بين ذكر وأنثى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات: ١٣]، والمسلمون مأمورن بالتسليم التام لهذه القاعدة الربانية التي تؤكد حكمة الله تعالى في خلقه بأن جعل منهم الذكر وجعل منهم الأنثى.

كما تتعلق هذه القاعدة أيضا بأن كل شيء في ملك الله لا يكون إلا بمشيئته وقدره، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾[الفرقان: ٢]، فالله تعالى قدر أن يكون الرجل على هذه الهيئة، والمرأة على هذه الهيئة.

أما عن العدل والمساواة، فقد بين القرآن الكريم الفرق بين الاثنين في مواضع كثيرة، وشتان ما بين العدل وبين المساواة، فقد أخبر ﷻ كيف ساوى بين الذكر والأنثى في أصل الخلق، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾[النجم: ٤٥]، ويتجلى عدله فيما فرضه عليهم من تكليفات شرعية لا مثيل لها في كل الشرائع والنظريات، تراعي الفروق الجسمانية والبدنية بين الاثنين.

ثانيًا: الجانب التكليفي الشرعي:

ويبدأ هذا الجانب أيضا من قاعدة أساسية عامة، تشمل الذكر والأنثى معًا، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾[البقرة: ٢٨٦]. ومنها المساواة أمام الله تعالى في الآخرة، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾[آل عمران: ١٩٥]، وقوله: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٤]، وقوله: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[النحل: ٩٧].

كما وضع الإسلام معايير واضحة تحكم العلاقة بين الرجل والأنثى، وجعل أساسها المودة والرحمة، لا كما رأينا في فلسفات الغرب، والمتأثرين بهم التي جعلت الهيمنة للرجل على المرأة، وحينما أرادوا إصلاح هذا الميزان المائل هدموا الأسرة بأكملها، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم: ٢١].

وقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في بعض التكاليف الشرعية، وجعل للمرأة تكاليف تختلف عن تكاليف الرجل، وللرجل تكاليف تختلف عن المرأة، بحسب أحوال الطرفين، وهى ما يتنافى مع السلطة الأبوية المطلقة التي شاهدناها في الفلسفات الغربية، التي تختلف عن قوامة الرجل على المرأة التي تعد تيسيرًا على المرأة وتكليفًا واجبًا على الرجل، تقوم على حسن العشرة قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا

وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾[النساء: ١٩]، فمن جعل قوامة الرجل للمرأة مصدر تسلطٍ، وقهرٍ، واستبدادٍ، فقد وقع في المخالفة، كما وجود هذه الظواهر السيئة في الاستبداد بالقوامة لا يعني انعدام الأصل أي انعدام القوامة، وتحميل القوامة بأخطاء الغالين نوع من الظلم والعبث. وفي قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[النساء: ٣٤] قال الشوكاني رحمه الله: "والمراد أنهم يقومون بالذب عنهن كما يقوم الحكام والأمراء بالذب عن الرعية... "(١)، قال الشوكاني: "والمعنى: هو أمين عليها، يتولى أمرها، ويهتم بحفظها، ويصلحها في حالها"(٢).

أما عن حقوق المرأة المادية، فقد صانها الإسلام، وجعلها في أعلى درجات الحفظ، مثل أحوال الزواج والطلاق والمواريث.

مستقبل الجندر عند العرب:

وككل الأفكار الوافدة المستمدة من الغرب، فإن مستقبل الجندر عند العرب، مرهون بالتطور الاجتماعي الذي يعيد قراءته وفقًا لاحتياجاته ومتطلباته، وليس أدل على ذلك مما وقع لهذا المصطلح من تطورات عبر العقود الفائتة التي بدأت بمجرد مطالب أساسية إلى حالة من محاولة الانعتاق من كل القيود الاجتماعية التي تُواجه بموجة كبيرة من الاعتراضات والنقض.

وقد لاقت هذه الأفكار ولاتزال معارضة مؤسسية، ومجتمعية في الكثير من البلدان الإسلامية، وعلى سبيل المثال؛ فقد أصدر مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية بيانًا حول المؤتمر الدولي للسكان والتنمية الذي عقد بالقاهرة في دورته الاستثنائية الثامنة المنعقدة في مدينة الطائف في الفترة من ٢٠-٢٣/ ٣/ ١٤١٥هـ.

كما أصدر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بيانًا هاماً تناول فيه إبداء وجهة النظر الإسلامية في القضايا المطروحة في مؤتمر بكين في دورته الحادية والثلاثين بتاريخ ١٧/ ٣/ ١٤١٦هـ.

---

(١) انظر: تفسير الشوكاني، ١/ ٥١٦.

(٢) تفسير البغوي، ٢/ ٢٠٧.

وقد أورد البيان استنكاره الشديد للعب بالألفاظ "كاستخدام كلمة (جندر) عشرات المرات بمعان محرفة ترمي إلى إلغاء الفوارق بين الذكورة والأنوثة، وتحويل الإنسان إلى مسخ، لا هو بالذكر، ولا هو بالأنثى، وذلك مع الإيهام ببراءة القصد، وسلامة الهدف"(١).

كما تصدى عدد كبير من العلماء لهذه الأفكار من بينهم الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة السعودية الأسبق رحمه الله، "وأصدر سماحته بيانًا على أثر ما نشر في وسائل الإعلام من خبر انعقاد مؤتمر بكين، جاء فيه: "يأتي هذا المؤتمر في نفس المسار والطريق الذي سار عليه المؤتمر المذكور-مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة-، متضمنا التركيز على مساواة المرأة بالرجل، والقضاء على جميع أشكال التمييز بين الرجل والمرأة في كل شيء، وقد تبنت مسودة الوثيقة المقدمة من الأمانة العامة لهيئة الأمم المتحدة مباديء كفرية، وأحكامًا ضالة في سبيل تحقيق: ذلك، منها الدعوة إلى إلغاء أي قوانين تميز بين الرجل والمرأة على أساس الدين، والدعوة إلى الإباحية باسم الممارسة الجنسية المأمونة، وتكوين الأسرة عن طريق الأفراد..."(٢).



---

(١) مفهوم الجندر: موقف الثقافة الإسلامية وسبل مواجهته، أمل بنت عائض الرحيلي، ص٢٤٣.

(٢) المرجع السابق.

الخاتمة

من خلال ما سبق يمكن أن نرى أن الجندر وما يرتبط به من المصطلحات كالنسوية وتحرير المرأة، لم يكن في يوم من الأيام وليد البيئة والمجتمع العربي والإسلامي، وإنما تأثرت به مجتمعاتنا ضمن الكثير الأفكار الوافدة التي انتشرت خلال القرون الثلاثة الماضية، وقد ساهم في انتشار أفكار الجندرية عدد من العوامل:

أولها: تشابه ظروف بعض المجتمعات العربية التي بعدت عن المنهج الإسلامي في تعامله مع المرأة، مما جعل ذلك بيئة خصبة لنفاذ الأفكار الغربية الداعية إلى تحرر المرأة مما أصابها في هذه المجتمعات باللجوء إلى الأفكار، والفلسفات المستوردة بدلاً من الرجوع إلى الأصل.

ثانياً: ظهور بعض التفسيرات والتأويلات المغلوطة للنصوص الشرعية، من أصحاب الأهواء والبدع الذين ابتعدوا بها عن الفهم الصحيح للكتاب والسنة.

ثالثاً: الغزو الفكري الذي انجذب إليه بعض الضعفاء من مشاهير الأمة الإسلامية ممن صارت لهم الكلمة العليا في الكثير من المجتمعات سواء من الأدباء، أو السياسيين، أو الإعلاميين، أو حتى من الشيوخ. فساهم هؤلاء بما تأثروا به من أفكار غربية غريبة عن الإسلام في ظهور هذا النوع من الفكر المشوه، والنظرة الشاذة للمرأة وللمجتمع، بعيدا عن تقاليده، وأعرافه النقية التي توافق الفطرة، وتوافق الكتاب والسنة.

التوصيات:

بعد العرض السابق، توصي الباحثة بما يلي:

٢- التأكيد على تقوية الوازع الديني لدى المرأة المسلمة، عن طريق تعزيز الانتماء إلى الأصول الإسلامية الصحيحة.

٣- ضرورة تبني المؤسسات التعليمية والإعلامية في العالم الإسلامي، المفاهيم الصحيحة حول قضايا المرأة بعيدا عن المصطلحات المستوردة من الخارج.

٤- أهمية إنشاء مؤسسات علمية متخصصة، تهتم بقضايا المرأة المسلمة والمجتمع المسلم، تتبنى العقيدة الإسلامية الصحيحة نحو هذه القضايا.

٥- إنشاء أقسام علمية في الجامعات تهتم بقضايا المرأة من منظور إسلامي.

٦- دعم الدراسات والأبحاث العلمية المهتمة بقضايا المرأة والنوع الاجتماعي من منظور إسلامي.



المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- أبو حسين، سلمى عبد الستار، قراءة في المدرسة النسوية وتياراتها، : المركز العربي للدراسات والبحوث، القاهرة، ١٤ مارس٢٠٢٠م.

٣- أفلاطون، الجمهورية ٢٠٠٩م، ترجمة: إمام عبد الفتاح، ط١، القاهرة، دار التنوير للطباعة والنشر.

٤- أمين، قاسم، ٢٠١٢م، حرية المرأة، ط١، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

٥- أنجلز، فريديرك، ١٩٥٦م، أصل العائلة والملكية الخاصة، ترجمة: أحمد عز العرب، ط١، القاهرة، دار الطباعة الحديثة.

٦- أنيس، أحمد، وآخرون، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، المعجم الوسيط، ط٤، القاهرة، مجمع اللغة العربية.

٧- أوكين، سوزان مولر، ٢٠٠٩، النساء في الفكر السياسي الغربي، ترجمة: إمام عبد الفتاح، ط١، بيروت، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

٨- البحيري إسلام، تاريخ تحقير النساء فى التراث الإسلامى طويل ومعقد ولايرضاه القرآن أو السنة، موقع صحيفة اليوم السابع المصرية، الثلاثاء، ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٨.

٩- البشر، بشر بن فهد، ١٤٠١٥هـ، أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، ط١، الرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع.

١٠- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، معالم التنزيل تفسير البغوي، ت: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، القاهرة، دار طيبة.

١١- تقرير المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، القاهرة، ٥-١٣سبتمبر١٩٩٤م، الصادر عن الأمم المتحدة، نيويورك ١٩٩٥م.

١٢- جامبيل، سارة، ٢٠٠٢م، النسوية وما بعد النسوية دراسات ومعجم تقدي، ترجمة: أحمد الشامي، مراجعة: هدى الصدة، ط١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

١٣- الجندي، أنور، ١٣٩٨هـ، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، ط١، القاهرة، المكتب الإسلامي.

١٤- الجهوري، وضحى بنت سيف، المرأة والكلب والحمار وأشياء أخرى !! الحوار المتمدن، العدد: ٣٢٤٤-٢٠١١ / ١ / ١٢.

١٥- الجيدي، عمر بن عبد الكريم، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، العرف والعمل في المذهب المالكي، مفهومها لدى علماء المغرب، المغرب، مطبعة فضالة.

١٦- درادكة، ياسين إبراهيم، ١٩٨٠م، الميراث في الشريعة الإسلامية، ط١، عمان، مؤسسة الرسالة، دار الأرقم.

١٧- الرحيلي، أمل بن عائض، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، مفهوم الجندر وآثاره على المجتمعات الإسلامية، دراسة نقدية في ضوء الثقافة الإسلامية، ط١، المملكة السعودية، مركز باحثات لدراسات المرأة.

١٨- رستم، أسد، ١٩٨٨م، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ط١، بيروت، المكتبة البولسية.

١٩- روسو، جان جاك، ١٩٥٨م، إميل، ترجمة: نظمي لوقا، ط١، القاهرة، الشركة العربية للنشر.

٢٠- ستوارد، لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، تحقيق وتعليق: الأمير شكيب أرسلان، ط٣، بيروت، دار الفكر العربي.

٢١- السعدي، القاسم علي بن جعفر، ١٣٦٠هـ، كتاب الأفعال، ط١، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية.

٢٢- السعيد، رفعت، ١٩٦٩م، تاريخ الفكر الاشتراكي في مصر، ط١، القاهرة، دار الثقافة العربية.

٢٣- شاكر، محمود، ١٩٩١م، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ط١، القاهرة، دار الهلال.

٢٤- شمس الدين، إيمان، صيف ٢٠١٩م-١٤٤٠هـ، الأنوثة المستلبة، إضاءات نقدية على نظريات النسوية في الغرب، مجلة الاستغراب، السنة الرابعة، بيروت، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.

٢٥- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ٢٠٠٧م، فتح القدير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ت: يوسف الغوش، بيروت، دار المعرفة.

٢٦- الطهطاوي، رفاعة رافع، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، المرشد الأمين للبنات والبنين، تقديم: منى أحمد أبو زيد، ط١، بيروت، القاهرة، دار الكتاب المصري، اللبناني.

٢٧- الطهطاوي، رفاعة رافع، ٢٠١٠م، الأعمال الكاملة، تحقيق: محمد عمارة، ط١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٨- عبد الفتاح، إمام، ١٩٩٦م، الفيلسوف المسيحي والمرأة، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي.

٢٩- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقول، ٢٠١٣م، القاموس المحيط، ط١، القاهرة، دار الحديث.

٣٠- فينيلي، م. آي، عالم أوديسيوس، ٢٠١٤م، ترجمة، تحقيق: السيد جاد، محمد عبودى إبراهيم، ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

٣١- الكتاب المقدس.

٣٢- ماكينون، كاثرين، النسوية، الماركسية، المنهج، والدولة: أجندة للعمل النظري، ترجمة: كرم نشار، الجمهورية نت، ١٧ يناير ٢٠١٧م.

٣٣- محمود، زكي نجيب، ٢٠٠٨م، قيم من التراث، ط٢، القاهرة، دار الشروق.

٣٤- محمود، على عبد الحليم، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الغزو الفكري وأثره في العالم الإسلامي المعاصر، ط١، جامعة الملك آل سعودي.

٣٥- المرأة الفلسطينية والميراث، دراسة لمركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي، ٢٠١٤م.

٣٦- المعيدي، حنان بن عطية الله ضيف الله، ١٤٢٠هـ، شبهات التغريب وأثرها في المرأة المسلمة، عرض ونقد، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى.

٣٧- المقدم، محمد أحمد إسماعيل، ٢٠١٠م، عودة الحجاب، ط١، القاهرة، دار طيبة.

٣٨- موسى، سلامة، ٢٠١٢م، المرأة ليست لعبة الرجل، ط١، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

